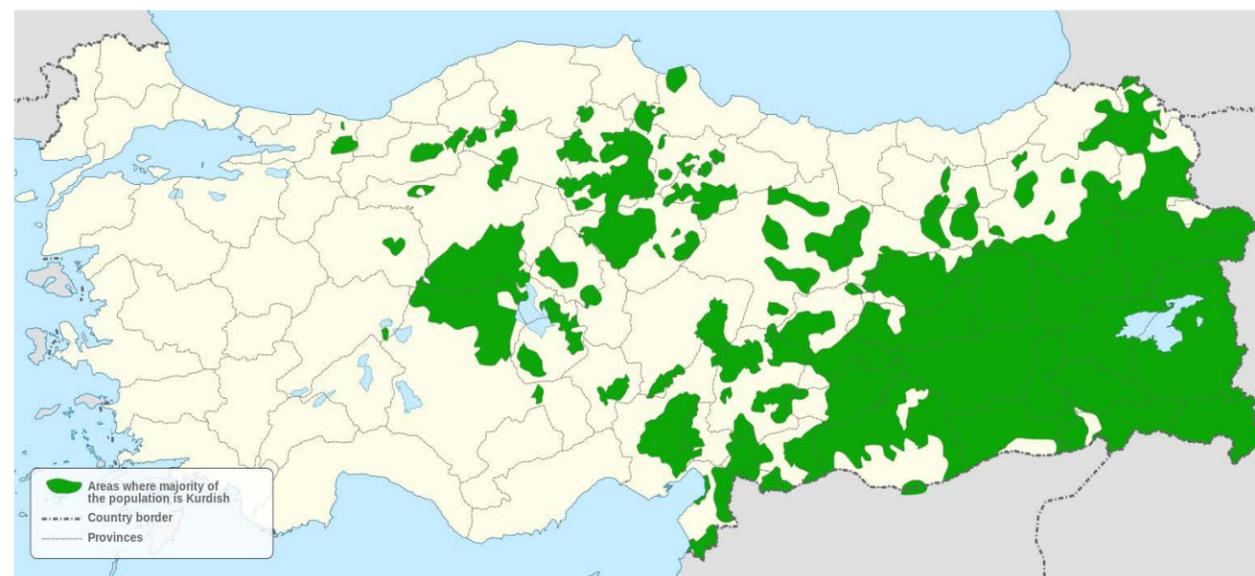


تقرير

شوقي عشقوتبي
lionbars@hotmail.comتقاطع أنقرة ودمشق، ضدهم لا يلغي اصطدام المصالح
ترامب وضع الأكراد بين أنياب اردوغان وأحضان الأسد

قدر الأكراد في تاريخهم العابق بالمآسي والخيبات ان يكونوا وقودا لحرب المصالح الاقليمية والدولية، ومن ضحاياها. كل مرة شعروا فيها انهم اقتربوا من تحقيق حلم الدولة المستقلة، اكتشفوا انهم بعيدون جدا منها وان الحلم هو في الواقع وهم وسراب. لكن نزعة الاستقلال والحكم الذاتي لا تفارقهم في توقعهم الى تأكيد شخصيتهم وخصوصياتهم



سقوط مشروع الفيدرالية والاقليم الكردي او الادارة الذاتية في الشمال السوري.

السوريين لا يرى اردوغان انها كافية، لذلك فانه يخطط لأن تكون المنطقة الحدودية العازلة مثابة حل جذري لمشكلة اللاجئين في تركيا، بأن يجري اسكانهم وتثبيتهم في هذه المنطقة. لكن السبب الاهم يظل استراتيجيا وامنيا. فاردوغان يهدف من وراء هذا التوغل العسكري الى القضاء لمرة واحدة

”
قبل الهجوم التركي
اتصل اردوغان بترامب وبعد
الهجوم ببونين



منذ اليوم الاول لدخول تركيا الحرب السورية وضع اردوغان نصب عينيه اقامة منطقة عازلة لا وجود كرديا فيها.

موسكو تتصرف بدقة متناهية في شمال سوريا، وفي اطار التوفيق بين التفهم لمصالح تركيا الامنية من جهة، والتأكيد على سيادة سوريا ووحدة اراضيها من جهة ثانية. الترجمة العملية لهذه المعادلة، ان موسكو تنظر الى ما بعد الهجوم التركي لقطف ثماره في اتجاهين: فتح خطوط علاقة مباشرة بين انقرة ودمشق على قاعدة الاعتراف المتبادل، وفتح حوار مباشر بين الأكراد والنظام السوري لاستمالتهم واستيعابهم.

توغلت تركيا في شمال سوريا تحت غطاء الانكفاء الاميركي والضوء الاخضر الروسي. في هذه الحالة، لم تعد تنفع كل حركة الاستنفار على مستوى اوروبا التي تشعر بالقلق من ان تؤدي العملية التركية الى مواجهات واسعة مع الأكراد والى زعزعة الاوضاع في الشمال السوري، بما يؤدي الى اندلاع ازمة لاجئين جديدة. الاخطر من كل ذلك، ان يؤدي القتال والفوضى الى هروب مقاتلي داعش المعتقلين لدى الأكراد وعددهم يقدر بنحو عشرة الاف بينهم نحو الفي اجنبي. لذلك دعت الدول الاوروبية، التي انكشفت دورها المتراجع وتأثيرها الضعيف، ترامب الى اعادة النظر في موقفه، لكن دعوتها جاءت متأخرة. اما الاستنفار العربي، فليس افضل حالا ولن يكون ذا جدوى. اقصى ما تمخض عنه الاجتماع الطارئ للجامعة العربية كان فتح ملف عودة سوريا الى الجامعة العربية ولكن على نحو خجول ومجتزأ، بعدما خاب امل العرب في ترامب وتبين لهم ان سوريا واقعة تحت نفوذ وتأثير ثلاث قوى اقليمية (تركيا وايران واسرائيل) ليس بينها اي دولة عربية.

الاهتمام يركز اولا على تقصي اهداف الهجوم التركي الذي انطلق تحت اسم عملية "نوع السلام". هذه الاهداف، التي تحدد حجم هذا الهجوم وحدوده ومداه، تتلخص في اقامة منطقة عازلة على طول الحدود الشمالية السورية - التركية، واعادة اكثر من مليوني لاجئ سوري في تركيا الى هذه المنطقة الآمنة. لكن الخطة التركية هذه المرة ترمي الى ما هو ابعد من توجيه ضربة لاكراد سوريا وابعادهم عن

عائلاتهم ونقلهم من ادلب الى رأس العين وتل ابيض ومدن كردية اخرى. قبل الهجوم اتصل الرئيس التركي بالرئيس الاميركي ونجح في اقناعه باطلاق هذا الهجوم، وبدا ان كل التحفظات والتوضيحات اللاحقة التي صدرت عن ترامب هدفت الى احتواء حملة الضغوط والانتقادات الداخلية من جهة، والى ضبط العملية العسكرية في تفاصيلها حتى لا تؤدي الى مجازر كبرى ضد الأكراد وحملة تطهير عرقي.

بعد الهجوم، اتصل اردوغان بالرئيس الروسي الذي لم يطالبه بوقف الهجوم، وانما دعاه الى تقييم دقيق للوضع وتنفيذ دقيق للعملية لعدم الحاق الضرر بجهود التسوية في سوريا التي كانت وصلت الى مرحلة متقدمة مع تشكيل اللجنة الدستورية.

واخيرة على خطر حزب العمال الكردستاني الذي تصنفه تركيا حزبا اهابيا، وتتهمه بأن لديه صلات تنظيمية وامنية بالوحدات الكردية في سوريا. هذا الحل الجذري للمشكلة الكردية لا يحصل في نظر اردوغان عبر تفاهات سياسية مع روسيا او آليات امنية متفق عليها مع الولايات المتحدة، وانما بعملية جراحية تهدف الى استئصال الوجود العسكري والامن الكردي في الاراضي السورية المحاذية للحدود. هذا المخطط يؤدي الى احداث تغيير في التركيبة الديموغرافية والسكانية في هذه المنطقة الحدودية المتزامية الاطراف عندما يتم اقصاء المكون الكردي منها وابداله بالمكونين العربي والتركمان، اضافة الى استقدام الالاف من مقاتلي النصرة وفصائل اخرى مع

المشروع الامنية، وانه يخطط لاسكان مليوني سوري فيها. بدا مصمما على المضي في هذا المشروع لاسباب كثيرة اولها الوضع الداخلي الذي يعاينه مع تراجع شعبيته وتفاقم الازمة الاقتصادية، فكان لا بد من تصدير ازمته الداخلية الى خارج تركيا، وهذا ما بدأه من خلال تحرشات في شرق البحر المتوسط في موضوع اكتشافات النفط والغاز، واكماله في العملية العسكرية الواسعة في شمال سوريا. ثاني هذه الاسباب يتصل بالتحول الطارئ في كيفية تعاطي تركيا مع ملف اللاجئين السوريين على ارضها، مع تراجع الانتقاد التركي والاتهام الموجه الى اللاجئين بالمسؤولية عن الضيق الاقتصادي والبطالة وارتفاع ايجارات المنازل. وهذا ما ادى الى قيام اجراءات مشددة ضد النازحين

مكتسباتهم وقوتهم لان الوحدات الكردية (وحدات حماية الشعب) في اطار قوات سوريا الديمقراطية (قسد) شكلت رأس الحربة الميدانية والعسكرية على الارض للتحالف الدولي. كما اصطدم ثانيا بالتحفظ الروسي رغم العلاقة الجيدة التي نسجها اردوغان مع الرئيس فلاديمير بوتين، ذلك ان موسكو ارادت من تركيا تنفيذ اتفاق سوتشي، وحسم موضوع ادلب وتحريرها من سيطرة هيئة تحرير الشام (النصرة) قبل فتح الملف الكردي في شرق الفرات وشمال سوريا. في فترة الشهر الاخيرة زاد تصميم اردوغان على حسم عسكري لموضوع المنطقة العازلة او الآمنة، واطلق من الامم المتحدة تحذيره النهائي رافعا خلال كلمته امام الجمعية العمومية خارطة قال انها تمثل حدود

هذه الخيبة عرفها اكراد سوريا الشهر الماضي وخبروها عن كذب عندما دخل عليهم الجيش التركي، بضوء اخضر مزدوج روسي واميركي، ليدمر ما كان كانوا بنوه في السنوات الثماني الماضية، ابان الحرب السورية، من وضع خاص، وعندما شعروا واكتشفوا ان الرئيس الاميركي دونالد ترامب خدعهم وادار ظهره وتركهم لمصيرهم. منذ اليوم الاول لدخول تركيا على خط الحرب السورية مخترقة الحدود والخطوط، وضع الرئيس التركي رجب طيب اردوغان نصب عينيه هدف اقامة منطقة حدودية عازلة خالية من اي وجود وخطر كردي. لكنه لم ينجح في تحقيق هذا الهدف طيلة اربع سنوات، اذ اصطدم اولا بالفيتو الاميركي لأن واشنطن كانت تعول على الأكراد في الحرب ضد داعش، وكانت حريصة على

هذا الانسحاب الذي وضع الاكراد عمليا بين انياب اردوغان واحضان الاسد وبين اصعب خيارين: المعركة العسكرية غير المتكافئة مع الجيش التركي والتحول لاحقا الى عمليات مقاومة، او اللجوء الى النظام السوري للاحتواء به والاتفاق معه، ولكن ايضا في ظل اوضاع تفاوضية غير متكافئة، اذا تقرر الانتقال الى مرحلة الاتفاق السياسي بعدما بوش تنفيذ الاتفاق الميداني الذي ادخل الجيش السوري الى منبج وعين العرب والحسكة والقامشلي.

ثمّة تقاطع بين انقرة ودمشق ضد الاكراد لا يحجب ولا يلغي اصطدام المصالح على الارض الذي يتجسم في توجه الجيشين التركي والسوري كل في اتجاه: الاتراك هدفهم شرق الفرات وانتزاعه من يد الاكراد، والنظام السوري هدفه ادلب وانتزاعها من يد النصرة والاسلاميين، والقيام بما تلتكأت تركيا عن القيام به. ربما يصل اردوغان الى نقطة يفضل فيها سيطرة دمشق على مناطق الاكراد اذا لم ينجح هو في السيطرة عليها وتطويعها. في وقت ترشح معلومات كثيرة تتداولها اوساط المعارضة السورية تتحدث عن صفقة تركية - روسية ثمنا للتوسع التركي الجديد.

هذه الصفقة تتطلب فتح حوار بين دمشق وانقرة على قاعدة الاعتراف المتبادل: اعتراف اردوغان بنظام الاسد وثباته واستمراره، واعتراف الاسد بمصالح تركيا الامنية التي يمكن تأمينها من خلال اتفاق اضمنة 2 على غرار اتفاق اضمنة 1 الذي ابرمته تركيا مع الرئيس السوري الراحل حافظ الاسد عام 1998، وحصلت بموجبها على حق التدخل لملاحقة عناصر حزب العمال الكردستاني في الاراضي السورية. تتطلب الصفقة ايضا رعاية حوار واتفاق بين دمشق والاكرد على قاعدة الاعتراف المتبادل ايضا: اعتراف الاكراد بالحكومة المركزية وسقوط مشروع الفيدرالية والاقليم الكردي او الادارة الذاتية في الشمال، واعتراف دمشق بخصوصية الوضع الكردي الذي يستأهل معاملة خاصة، لكن ما هو قائم في شمال العراق لا يمكن ان يتكرر في شمال سوريا.



دمشق ترفض فرض تركيا امرا واقعا على ارضها.

المنطقة الآمنة

فتحت تركيا ملف المنطقة الآمنة او الامنية التي تسعى الى فرض سيطرة كاملة عليها، وفي تقديرها ان روسيا لا تعارض هذا الطرح عبر اتفاق بين دمشق وانقرة مثل اتفاق اضمنة. لكن عقبات كثيرة تعترض مشروع اقامة مثل هذه المنطقة الحدودية الامنية، وتتعلق بالآتي:

- عمق المنطقة: تريد انقرة ان يمتد عمق الشريط الامني الى 32 كيلومترا شمال سوريا بطول 460 كيلومترا من جرابلس الى كردستان العراق (طول الحدود السورية التركية يبلغ 900 كلم)، فيما وافقت واشنطن مبدئيا على 10 كيلومترات. واقتربت موسكو ان يكون العمق بين 5 و10 كيلومترات.
 - حماية المنطقة: تريد تركيا ان تكون المنطقة آمنة، اي تتضمن حظرا جويًا، لكن موسكو تقبل منطقة عازلة من دون حظر جوي.
 - وجود الدولة السورية: تتمسك انقرة برفض اي وجود للجيش السوري. ويقول مسؤولون اتراك انه اذا وجدت قوات الحكومة فانها ستتعاون مع الاكراد، وتتكرر هجمات حزب العمال الكردستاني ضد جنوب شرق تركيا، فيما تقترح موسكو انتشار قوات الحكومة على الحدود ضمن مبدأ السيادة السورية. وتقتصر انقرة تشكيل قوى للامن الداخلي لضمان الاستقرار بتنسيق مع الجيش التركي.
 - علاقة المناطق بالمركز: تريد انقرة اجراءات وترتيبات تبعد هذه المناطق عن سلطة الدولة المباشرة، فيما تتمسك موسكو بعودة كاملة لسلطة الحكومة على هذه المناطق، تأييدا لدمشق.
- يعتقد ان التفاهات الممكنة بين موسكو وانقرة ستكون حاسمة في مستقبل شرق الفرات. وموجب تفاهاتهما السابقة، حصلت تركيا على اقامة منطقة درع الفرات بين جرابلس والباب شمال حلب في نهاية 2016، وعلى السيطرة على عفرين بداية 2018، وعلى خفض التصعيد في ادلب في ايلول 2018، ما شكل شريطا عازلا شمال سوريا يمتد من جرابلس الى اللاذقية.

عندما يحين اوان الاستحقاقات والصفقات الكبرى بين الدول التي لا تتصرف الا وفق مصالحها، ومصلحة واشنطن الان هي تقديم تحالفها مع تركيا على تحالفها مع الاكراد. وبالتالي، هذا يعني ان العد العكسي لسقوط مشروع الفيدرالية او الادارة الذاتية الكردية في سوريا قد بدأ. خيبة اكراد سوريا كانت سبقتها العام الماضي خيبة اكراد العراق بعدما اخفق مشروع الاستفتاء على استقلال كردستان، وبدا ان مراعاة الشراكة مع ايران في العراق وموجبات التحالف مع تركيا هي الالم، فكان الضوء الاخضر لاسقاط كركوك وسحبها من السيطرة الكردية.

النتيجة المباشرة لقرار الانسحاب الاميركي كانت فتح الطريق امام تركيا للدخول عسكريا الى الاراضي السورية. اما النتيجة غير المباشرة، فكانت سقوط المشروع الكردي في سوريا، الذي ثبت انه غير قابل للتحقيق على ارض الواقع نتيجة تشابك المصالح الدولية والاقليمية. ثمّة تقاطع بين دمشق وانقرة على تطويق هذا المشروع الذي يطمح الى اقامة شيء يشبه ما هو قائم في شمال العراق، ولكن دمشق ترفض تفردا تركيا في تحديد قواعد اللعبة على الارض وفي فرض امر واقع على ارضها، وهي تريد لتركيا ان تتدخل بالتنسيق والحوار معها وعبر القناة الروسية.

اذا كان ترامب اعطى موافقته على دخول الجيش التركي بعد اتصال جرى بينه وبين اردوغان، فان بوتين اعطى موافقة مسبقة على هذا التدخل عندما اجتمع باردوغان عشية الهجوم، وفي اطار صفقة المنطقة الآمنة في مقابل ادلب، شملت ايضا اللجنة الدستورية التي شكلت وسيناط بها وضع الدستور الجديد وتحديد معالم واسس النظام الجديد في سوريا ومستقبلها السياسي. وهذه اللجنة لم تضم في عدادها اي ممثل عن اكراد "قسد" نزولا عند رغبة تركيا. لم يحرك الاميركيون ساكنا بازاء هذا الاقصاء، وكانت هذه اول اشارة من جهتهم في اتجاه الموقف المكمل والاكثر قساوة وهو الانسحاب العسكري من المنطقة الكردية.



توغلت تركيا في شمال سوريا تحت غطاء الانكفاء الاميركي والضوء الأخضر الروسي.

الحدود وقطع تواصلهم الاستراتيجي مع اكراد تركيا. تركيا تفكر في تغيير التركيبة الديموغرافية لشمال شرق سوريا وازعاج المكون الكردي لمصلحة المكونين العربي والتركماني، ما قد يفتح الباب امام مواجهات واضطرابات عرقية لا تنتهي.

لكن الانظار اتجهت الى واشنطن الى تحديد طبيعة الانسحاب او الانكفاء الاميركي ومداه، وما ستسوس عليه سياسة ترامب المحاصر بضغط قوية من الداخل والخارج. ففي الولايات المتحدة شبه اجماع على رفض قرار ترامب الذي ستكون له مضاعفات بعيدة المدى على مكانة الولايات المتحدة وسمعتها في العالم، والذي يعني تسليم مستقبل سوريا الى ثلاث دول ليست اميركا بينها، هي روسيا وايران وتركيا.

في واشنطن صدمة بازاء الطريقة الاعتباطية والخطيرة التي اعلن فيها ترامب قراره. في شمال سوريا خيبة عميقة عند الاكراد من تخلي ترامب عنهم. وفي الخليج شكوك وتزعزع الثقة اكثر بترامب بعد تخليه عن حلفاء اميركا في سوريا. وفي اوربا قلق من سياسة اميركية تركت الباب مواربا امام تركيا كي تتوغل في الشمال السوري وزادت في تعقيد الازمة السورية، ووضعت المنطقة

”
الرئيس الاميركي
وضع الاكراد تحت الصدمة
والخيبة
صفقة قد تفتح حوارا بين
دمشق وانقرة على قاعدة
الاعتراف المتبادل
“